البناء الفني للقصة القصيرة

يختلف منظرو القصة القصيرة، اختلافاً كبيراً حول طبيعة أركانها وعددها حسب فهم كل منهم لماهية القصة القصيرة. وفيما يلي عرض لهذه الأركان وبيان لعناصرها:

١- الحدث
٢- الموضوع (الخبر القصصي)
٣- النسيج القصصي
٤- الشخصية
٥- الأسلوب
٦- التركيز

١- الحدث وطرق بنائه:

يعد الحدث أهم عنصر في القصة القصيرة، ففيه تنمو المواقف، وتتحرك الشخصيات، وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله. يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان، والسبب الذي قام من أجله.

وأهم العناصر التي يجب توفرها في الحدث القصصي هو عنصر التشويق، وفائدة هذا العنصر تكمن في إثارة اهتمام المتلقي وشده من بداية العمل القصصي إلى نهايته.

ويعد كذلك زمن الحدث أهم هذه العناصر، وهو ينطوي على مجموعة من الأزمنة، وهي زمن الحبكة، وزمن القصة، وزمن العمل القصصي نفسه ثم زمن قراءته.

* طرق بناء الحدث:

يستعمل كتاب القصة القصيرة ثلاث طرائق لبناء أحداث قصصهم:

١- الطريقة التقليدية، وهي أقدم طريقة، وتمتاز بأنها

التطور السببي المنطقي ، حيث يتدرج القاص بحدثه من المقدمة إلى العقدة فالنهاية .

ب - الطريقة الحديثة / يشرع القاص فيها بعرض حدث وقعت من لحظة التأزم ، أو كما تسمى (العقدة) ثم يعود إلى الماضي أو إلى الخلف ليروي بداية حدث قصته .

ج - طريقة الارتجاع الفني / يبدأ الكاتب فيها بعرض الحدث في نهايته ثم يرجع إلى الماضي ليسرد القصة كاملة ،

* عناصر الحدث

يوجد للحدث القصصي عنصران أساسيان ، هما المعنى والحبكة .

١ - المعنى /

للمعنى في القصة القصيرة ، أهمية كبرى ، فهو عنصر أساسي بل يعده بعض الدارسين أساس القصة ، وجزءاً لا ينفصل عن الحدث ، ولذلك فإن الفعل والفاعل ، أو الحوادث والشخصيات يجب أن تعمل على خدمة المعنى من أول القصة إلى آخرها ، فإن لم تفعل ذلك ، كان المعنى دخيلاً على الحدث ، فالقصة الفنية تكتمل بالمعنى الجيد الذي يخدم الانسان ويطوره .

ب - الحبكة /

نعني بالحبكة تسلسل حوادث القصة الذي يؤدي إلى نتيجة ، ويتم ذلك إما عن طريق الصراع الوجداني بين الشخصيات ، وإما بتأثير الأحداث الخارجية .

ومن وظائف الحبكة إثارة الدهشة في نفس القارئ .

والحبكة هي المجرى العام الذي تجري فيه القصة وتتسلسل بأحداثها على هيئة متنامية ، متسارعة ، ويتم هذا بتضافر كل عناصر القصة جميعاً .

٢- الموضوع (الخبر القصصي):

الخبر في الأصل اللغوي يعني نقل معنى، ولهذا النقل وسائل عديدة، وليست كل الأخبار التي نسمعها، أو نقرأها أخباراً فنية إذ للخبر الفني القصصي شروط أولها أن يحدث أثراً كلياً، ولا يتحقق هذا الأثر إلا إذا صور حدثاً متناسياً من خلال المقدمة، والعقدة، والخاتمة.

وعلى هذا فإن للخبر القصصي شروطاً منها:

١- أن يكون ذا أثر وانطباع كلي.

٢- أن تتصل تفاصيله، وأجزاؤه وتتماسك تماسكاً عضوياً، فنياً لتوافر الوحدة الفنية في العمل القصصي.

٣- أن يكون ذا بداية، ووسط أو عقدة، ونهاية أو لحظة تنوير.

فإذا كانت كل كتابة، تنقل خبراً فليس شرطاً، ان كل كتابة فنية، فللكتابة الفنية شروط ينبغي توفرها، وإلا كان الخبر عادياً، وخاصة حين لا يتوفر على عنصري الأثر الكلي، أو الحدث القصصي. وهما الشرطان المهمان في أية قصة فنية.

* ونعرض فيما يلي لعناصر الخبر الأساسية:

١- المقدمة (البداية)

تتفق نقاد القصة القصيرة في معظمهم على أهمية مقدمتها، ذلك أن براعة الاستهلال تشد القارئ الى متابعة الأحداث التالية، وليس كل كاتب يقادر على شد القارئ، وتشويقه لمتابعة القارئ وانما يوفق إلى هذا الموهوبون من الكتاب.

وقد يقوم عنوان القصة بدور المقدمة، فعلى القاص أن يعتني عناية فائقة في اختيار عناوين قصصه، وان يعرف بشخوصه وصفاتهم بطريقة فنية تثير اهتمام مشاعر القارئ ولا ينبغي للمقدمة أن تطول، فحجم العمل الأدبي لا يحتمل المقدمات الطوال، ولا كثرة التفاصيل.

ب- العقدة (لحظة التأزم)

العقدة هي تشابك الحدث وتتابعه حتى يبلغ الذروة ، وإن عقدة القصة الجيدة ، يجب أن تجيب عن هذين السؤالين : (وماذا بعد ، ولماذا) ، ويشترط في العقدة أن تتضمن صراعاً عدرياً ، أو ناتجاً عن ظروف اجتماعية أو صراعاً يقوم بين الشخصيات أو صراعاً نفسياً يدور في داخل الشخصيات .

ج- النهاية (لحظة التنوير أو الانفراج)

بعد أن تتشابك الأحداث القصصية ، وتبلغ ذروة التعقيد تتجه نحو انفراج يتضح من خلاله مصير الشخصيات وأطلق على هذه المرحلة اسم النهاية ، أو لحظة الانفراج .

٣- النسيج القصصي :

نسيج القصة هو الأداة اللغوية ، التي تشمل السرد والوصف والحوار ، ووظيفته خدمة الحدث ، وعلى القاص أن يترك الفرصة لشخصيات أعماله القصصية أن تتحدث بلغتها ، ومستواها الفكري ، ونظراً لاختلاف مستويات شخصيات العمل القصصي فإنه من العبث أن نرى الشخصيات جميعها تتحدث بمستوى واحد ، وفيما يأتي عرض موضوعي لبعض عناصر نسيج القصة :

٢- السرد

يعد السرد أحد أركان النسيج القصصي الأساسية ، حيث يسهم في الربط بين أجزاء القصة وتتابعها ، تتابعاً فنياً متيناً . والاصطلاح الأدبي لكلمة (سرد) يعني (المصطلح الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال) .

ب - الوصف

الوصف في المصطلح الأدبي هو : تصوير العالم الخارجي

أو العالم الداخلي عن طريق الألفاظ ، والعبارات ، وتقوم فيه التشابيه والاستعارات مقام الألوان لدى الرسام والنغم لدى الموسيقي .

ووظيفة الوصف هي خلق البيئة التي تجري أحداث القصة فيها وتكوين نسيجها ، وأن تكون اللغة قريبة من لغة الشخصية لكي تحقق شيئاً من المنطقية الفنية ، لأن الشخصية هي التي ترى الشيء وتصفه وتتأثر به .

ج ـ الحوار

الحوار في المصطلح : هو تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة ما . وعن وظائفه في العمل الأدبي بعث روح حيوية في الشخصية ، ومن شروطه أن يكون مناسباً ، وموافقاً للشخصية التي يصدر عنها ، إذ لا يعقل أن يورد الكاتب حواراً فلسفياً ، عميقاً على لسان شخصية أمية ، غير مثقفة .

إن اللغة أداة الحوار ، ولذلك وجب أن تكون عامل بناء في الفن القصصي وعامل تعبير عن الأفكار والآراء ، ومن الشروط الفنية للحوار القصصي أيضاً التركيز والإيجاز والبراعة في التعبير عما في ذهن الشخصية ، من أفكار ، أما طول الحوار فإنه يضر بالبناء الفني للقصة القصيرة .

وقد أجمعت جلّ آراء النقاد والدارسين على ضرورة استعمال اللغة العربية الفصحى في الحوار ، لأنها اللغة الوحيدة التي يفهمها المثقفون العرب كافة .

د ـ الشخصية :

الشخصية القصصية : هي أحد الأفراد الخياليين ، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة ، ولا يجوز الفصل بينها وبين الحدث ، لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث .

وينتقي القاص من الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره وآرائه شخصية محورية ، وقد ألف النقاد أن يطلقوا

على هذه الشخصية مصطلح (البطل) ويعنون به الشخصية الفنية التي يسند القاص اليها الدور الرئيس في عمله القصصي.

ويعني أحمد نور بشخصية البطل، (الشخصية الفنية التي تستحوذ على اهتمام القاص، وتمثل المكانة الرئيسية في القصة، وقد تكون سلبية، كما تكون ايجابية، أو متذبذبة بين هذه القصة وتلك، قد تكون محبوبة، أو منبوذة من طرف القارئ المهم أنها تمثل المحور الرئيسي في القصة والقطب الذي يجذب إليه كل العناصر الأخرى ويؤثر فيها).

شرعت بعض الدراسات الحديثة بتبتعد عن تسمية (البطل) لأنها مقيدة بظهور الأدب الخيالي الذي نشأ في العصور الوسطى، ولهذا استبدلت باسم (الشخصية الرئيسية) لأنها أنسب وتتلاءم مع الدور الفني الذي يسند إليها.

* أنواع الشخصيات الفنية

في القصة عدة أنواع من الشخصيات، تختلف أدوارها بحسب ما أراده القاص لها، وأهم هذه الشخصيات هي:

أ- الشخصية الرئيسية:

هي الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار أو أحاسيس. وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل مجال الزمن القصصي.

ب- الشخصية المساعدة:

على الشخصية المساعدة أن تشارك في نمو الحدث القصصي، وبلورة معناه والاسهام في تصوير الحدث، وان وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية.

ج- الشخصية المعارضة:

وهي شخصية تمثل القوى المعارضة في الزمن القصصي، وتقف في طريق الشخصية الرئيسية أو الشخصية المساعدة، وتعد

أيضاً شخصية قوية، ذات فعالية في القصة، وهي بنية حدثها، الذي يعظم شأنه كلما اشتد الصراع فيه بين الشخصية الرئيسية والقوى المعارضة.

٥- الأسلوب:

الأسلوب هو: (طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية، تميزه عن سواها، لا سيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات والتشابيه والإيقاع، ويرتكز على أساسين: أحدهما كثافة الأفكار الموضحة وضبطها، وعمقها أو طرافتها، والثاني نقل المفردات، وانتقاء التركيب الموافق لتأدية هذه الخواطر، بحيث تأتي الصياغة محصلاً لتراكم ثقافة الأديب ومعاناته).

ويستوحي الكاتب أسلوبه من مصادر متنوعة، أهمها بيئته، وثقافته، وملاحظاته، وأحاسيسه وتجاربه ومواهبه.

تختلف الأساليب من أديب لآخر، ومن كاتب لآخر، كما تختلف الأسلوب الأدبي من لغة لأخرى، وذلك حسب خصائص الجملة لكل لغة، وتختلف الأساليب باختلاف الموضوعات، فكل موضوع يلزمه أسلوب.

وللقصة القصيرة أسلوب يتميز ببعض الملامح الفنية، إذ إن الأسلوب المتبع في بنائها، هو الأسلوب المبني على خطة تعرف بالسياق أو الحبكة، وهذه الخطة تبدأ عادة بمقدمة تنتقل منها إلى الحادثة، حيث تبلغ ذروتها، ثم تصل إلى الحل، وهو النهاية الخاتمة.

٦- التركيز:

ضرورة التركيز والإيجاز في التعبير القصصي والغاء الزوائد التي تضر بالعمل الأدبي، إذ الكلمة في القصة القصيرة لا يقل دورها، وأهميتها عن وجودها في القصيدة الشعرية.

وللتركيز مهمة كبيرة في القصة القصيرة، بحكم حجمها وصوغاتها الفنية التي لا تحتاج إلى أطناب، وتفاصيل، وقد فرق بين التفصيلات الضرورية التي يلح عليها العمل الفني ذاته، وبين التفصيلات الزائدة، التي يقصد بها تضخيم حجم القصة لا غير، وهي تفصيلات ليست من مقومات القصة وإنما يمكن الاستغناء عنها وحذفها لأن وجودها في الوصف أو في الحوار، يضر أكثر مما ينفع.

أما موطن التركيز في القصة، فيكون في الموضوع، وفي الحادثة، وطريقة سردها، أو في الموقف وطريقة تصويره، أو في لغتها.

إن كل لفظة في القصة القصيرة يجب أن تكون موحية ولها دورها، تماماً، كما هو الحال في الشعر.

وسبب إلحاح النقاد على عنصر التركيز، والإيجاز يرجع إلى أن طبيعة القصة القصيرة بحجمها وزمانها ومكانها لا تتطلب التفصيل والسعي وراء تكديس الحوادث مثلما يسمح بذلك فن الرواية.